بين روسيا والولايات المتحدة

ليس فى العالم كله بلاد كروسيا والولايات المتحدة بينها أوجه الشبه كما تعددت أوجه الخلاف ، وتوافرت فيها أسباب الاتفاق كما توافرت عوامل النفرة والجفاء . وأنت لو ألقيت إلى الكرة الأرضية بنظرة فاحصة لكشفت لك عن وجود مساحتين شاسعتين متقابلتين من اليابسة ، إحداهما فى نصف الكرة الشرقى ، والثانية فى النصف الغربى ، وفى كل منهما تقوم حكومة مركزية واحدة تجمع بين شتات هذه الأرجاء الواسعة ، وتشرف على نظامها العام ومواصلاتها ودفاعها وعلاقاتها مع سائر الأمم . أما فى نصف الكرة الشرقى أو العالم القديم فتقوم حكومة اتحاد جمهوريات السوفيت الاشتراكية ، ومساحتها تزيد على ثمانية ملايين من الأميال المربعة ، ويبلغ عدد سكانها ١٨٠ مليون من الأنفس . وأما فى نصف الكرة الغربى أو العالم الجديد فتقوم حكومة الولايات المتحدة بأمريكا ، ومساحتها تزيد على ثلاثة ملايين من الأميال المربعة ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٣٠ مليون من الأنفس ، ولا يفوقهما فى العالم كله إلا بلاد الهند والصين ، وذلك من حيث عدد السكان فحسب . وروسيا والولايات المتحدة كلتاهما تخترقها أنهار عظيمة تنساب بين سهول خصبة مترامية الأطراف ، كثيرة الخيرات ، موفورة المحصولات ، وفيها مراع ممتدة وهضاب وأودية وسلاسل من الجبال يستخرج من ظاهرها وباطنها معادن مختلفة ، وفى مقدمتها زيت البترول ومنه تنتج الولايات المتحدة ٦٤ ٪ من محصول العالم ، وتليها روسيا إذ تنتج منه ١٢ ٪ ولعظم مساحتهما تعتبر كل منها قارة قائمة بنفسها فى عزلة عن غيرها ؛ فروسيا فى عزلة برية شبه جليدية تبدأ من البحر البلطى فى غرب أوربا وتنتهى عند ساحل المحيط الهادى الشمالى شرقى روسيا . وأما عزلة الولايات المتحدة فعزلة بحرية ، إذ يكتنفها المحيط الاطلنطى من الناحية الشرقية ، والمحيط الهادى من الناحية الغربية .

وكما تغلبت الولايات المتحدة على وصل أبعاد الفيافى السحيقة بإنشاء السكك الحديدية بين المحيطين فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، كذلك ربطت روسيا بين غربيها وشرقيها بإنشاء خط سيبريا الحديدى فى أوائل القرن العشرين . ولكن بينما كان إنشاء السكك الحديدية فى الولايات المتحدة مقدمة لتعمير أراضيها وزيادة إنتاجها وإشاعة الرغد والرخاء فى ربوعها ، كان امتداد السكك الحديدية فى روسيا شرقا عابراً سيبريا نذير شؤم على الأهالى ؛ إذ أصبح العمل فى إنشاء السكك الحديدية واستغلال المناجم والعمل فى المصانع الواقعة قربها تكليفاً شاقًّا ينوء به عادةً المجرمون والمسخرون من رقيق الأراضى ومئات الألوف من السياسيين والمفكرين الأحرار والاشتراكيين الذين نالهم سخط الحكومة فكان نصيبهم النفى إلى تلك البقاع ، يعيشون فى صحراء من الجليد لافكاك منها وليس فيها أثر من آثار الرحمة الانسانية ، فكانوا يموتون ضحية الجوع والمرض والقسوة واليأس .

وليس فى كل هذا أمر يدعو إلى العجب والدهشة ، إذا عرفنا أن الروس كافة قد ظلوا مستعبدين قرونا طويلة ، يتحكم فيهم الاشراف ويسومونهم سوء العذاب ، ويعيشون ملتصقين بالأرض كالسائمة أو كالعبيد . وظل هذا شأنهم إلى أن أصدر القيصر إسكندر الثانى سنة ١٨٦١ قانونا يحررهم من عبوديتهم . ومنذ ذلك التاريخ أخذت الأجيال الناشئة تتنسم نسيم الحرية والكرامة الإنسانية ، وحملت مشاعل الثورة ومعاولها التى قوضت أخيراً حكومة القياصرة . ولذلك كان الروس قبل هذا التاريخ فى عزلة عن غرب أوربا ، فلم يتأثروا كما تأثرت شعوب غربى أوربا بحركة النهضة أو بالثورة الفرنسية وما تبعها من أحداث وثورات ، ولم تمسسهم حركات الإصلاح الدينية التى انبعثت من روما وألمانيا وسويسرا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر . لذلك بقى الحكم فى روسيا طوال هذه القرون حكما أتوقراطيًّا بحتاً بالغا منتهى الشدة والقسوة ، وظل الشعب يرسف فى أغلال جهله وفقره المدقع إلى أن قامت الثورة البلشفية فى سنة ١٩١٧ . ولا نستثنى من ذلك الفترة التى اعتلى فيها العرش القيصر إسكندر الأول ، الذى كان قوام المحالفة الأوربية بين سنة ١٨١٢ و ١٨١٥ ، وهى المحالفة التى قضت على نابليون بونابرت . وقد بدا للناس حينذاك أن القيصر يريد أن يبدأ عهداً جديداً من الحرية وحكم القانون ، لا فى روسيا وحدها بل فى إقليم پولندة كذلك

الى اقتسمتها روسيا والنمسا وبروسيا ومحوها قبيل نهاية القرن الثامن عشر من الوجود السياسى ؛ فإن هذه الفترة لم تظل إلا سنوات قليلة لم يلبث بعدها إسكندر أن انحاز إلى جانب سياسة مترنخ الرجعية ، وسرعان ما صارت روسيا سوط العذاب يلهب به مترنخ ظهور الأحرار أينما وجدوا حتى لو كانوا فى أمريكا من وراء المحيط . فقد قامت فى سنة ١٨٢٢ ثورة فى اسبانيا على مليكها فرديننند السابع ، ومنها انتقلت إلى مستعمراتها فى جنوب أمريكا ، فما كان من إسكندر قيصر روسيا إلا أن تقدم يريد إرسال قواته تعبر أوربا لقمع الثورة لا فى أسبانيا فحسب ، بل فى المستعمرات أيضاً إذا اقتضت الحال . وكان من الطبيعى فى ذلك الوقت أن تعترض فرنسا وانجلترا على هذا الدور الدكتاتورى الرجعى الذى أراد القيصر تمثيله على مسرح السياسة الدولية ، فقرر مؤتمر الدول الذى انعقد فى فيرونا أن يعهد إلى فرنسا ، وهى أقرب الدول إليها ، بقمع الثورة . وفى ذلك الحين خشيت انجلترا والولايات المتحدة ، وكانت لهما فى المستعمرات الأسبانية مصالح تجارية حيوية أن يمتد أثر قرار فيرونا إلى أمريكا ، فقام جيمس منرو Monroe رئيس الولايات المتحدة فى ديسمبر سنة ١٨٢٣ فأعلن تصريحه الشهير الذى قامت على مبادئه من بعد سياسة أمريكا الخارجية . وينص ذلك التصريح على أن الأقاليم الأمريكية لم تعد مجالا للتدخل أو للاستعمار الأوربى ، وأن أى تدخل من جانب أية دولة أوربية تعتبره الولايات المتحدة عملا عدائياً موجها ضدها . وأعقب ذلك اعتراف كاننج وزير خارجية انجلترا باستقلال المستعمرات الأسبانية سنة ١٨٢٤ ومنذ ذلك الوقت أصبحت شؤون الجمهوريات الأمريكية من اختصاص الولايات المتحدة دون غيرها من سائر الدول .

وبذلك استطاع شعب الولايات المتحدة أن يصون استقلاله وحرياته ، بل أن يقف فوق ذلك حارسا على حريات الشعوب الأمريكية وضامنا لاستقلالها جميعا . وحدث ذلك فى وقت كان فيه الشعب الروسى يرسف فى أغلال عبوديته وجهله وفقره . وليس بغريب أن يصل شعب الولايات المتحدة إلى هذه الدرجة من النضج السياسى ، وإلى هذه المكانة بين الدول ، إذا عرفنا أنه وريث الفضائل والصفات التى ميزت المهاجرين الأول من أحرار الانجليز والهولنديين والفرنسيين الذين أبت عليهم نفوسهم الأبية أن يقيموا على الضيم والاضطهاد الدينى فى أوربا فهاجروا أول ما هاجروا من انجلترا فى سنة ١٦٢٠ تحملهم

سفينة « ميقلور » إلى الساحل الشرقى من الولايات المتحدة حيث أقاموا حكوماتهم على أساس من الحرية والمساواة والعمل لصالح المجموع ، حتى إذا رأوا من جانب حكومة الأم فى انجلترا عنتاً وتشبثا بحقوق لا تستند إلا على القوة لم يترددوا فى إعلان الثورة عليها وحمل السلاح ضدها ، وسرعان ما قامت حرب الاستقلال الأمريكى التى انتهت سنة ١٧٨٣ ؛ وانتهزت دول أوربا المنافسة لانجلترا هذه الفرصة فأعلنت حيدتها المسلحة ضد انجلترا ، حتى لا تستغل انجلترا تفوقها البحرى فى مناوأة تجارتهم مع أمريكا . وكانت روسيا إلى جانب الحيدة المسلحة ضد انجلترا ، ولكنها كانت فى الوقت نفسه تمقت الثوار ومبدأ الثورة ، فلم تشأ أن يكون بينها وبين الولايات الثائرة بعد استقلالها صلات أو روابط من أى نوع كانت ، واستمرت كذلك حتى أوائل القرن التاسع عشر حين استقبل إسكندر الثانى أول ممثل للولايات المتحدة فى سنة ١٨٠٩ وعقدت أول معاهدة تجارية بين البلدين فى سنة ١٨٣٢ .

ولما قامت الحرب الأهلية بين ولايات الجنوب وولايات الشمال ، وكان أهل الجنوب يريدون أن ينفصلوا عن الولايات الشمالية ، حتى لا يتعرض اقتصادهم الزراعى والاجتماعى القائم على استخدام الرقيق لأى خطر من ناحية الرئيس لنكولن وولايات الشمال الصناعية ، كانت انجلترا وفرنسا تناصران حركة الجنوب الانفصالية ، حتى لا تقوى الولايات المتحدة وتصبح يوما دولة كبيرة منافسة . ومن عجب أن تكون روسيا حينذاك إلى جانب الولايات المتحدة مع أنها لم تكن تربطها بالولايات المتحدة أية رابطة من الجنس أو الدين أو الثقافة ، بل كانت روسيا تعتبر إذ ذلك مباءة الحكم الرجعى الاوتقراطى ، كما كانت الولايات المتحدة الشمالية تمثل أكثر المبادئ حرية وتسامحا وإنسانية

وقد أبدى إسكندر الثانى قيصر روسيا من الاهتمام بقضية الولايات المتحدة ما جعله يسارع بإرسال جزء من أسطوله يرسو فى ميناء نيويورك وسان فرنسسكو ، وأعلن فى صراحة أن بقاء الولايات المتحدة دولة مستقلة متماسكة أمرٌ لا بد منه لصيانة السلم بين الدول . وكان هذا الموقف من أهم الأسباب التى دعت انجلترا وفرنسا إلى العدول عن موقفها العدائى نحو الولايات الشمالية .

ولما سئل القيصر إسكندر عن سبب وقوفه هذا الموقف من النزاع

الأمريكى أجاب بأنه إنما فعل ذلك خدمة لصالح روسيا لا حبًّا فى الولايات المتحدة .

فقد كان التنافس بين روسيا وبريطانيا شديداً فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكانت روسيا حديثةعهد بخروجها منهزمة أمام انجلترا وحليفاتها فى حرب القرم ، فأرادت روسيا أن تثأر لنفسها ، فتعمل على تقوية الولايات المتحدة لعلها أن تنمو يوما فتتفوق على بريطانيا ، وعلى ذلك ينفسح المجال أمام روسيا فى آسيا وفى البحر المتوسط . وتحقيقاً لهذا الغرض لم تجد روسيا مانعاً من النزول للولايات المتحدة عن أرض شبه جزيرة ألسكا شمالى كندا فى سنة ١٨٦٧ مقابل مبلغ ضئيل دفعتـه أمريكا ، حتى لا تسيطر على مضيق بهرنج دولة أجنبية .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى كان وجود روسيا إلى جانب انجلترا وحلفائها من الأسباب التى جعلت حكومة الولايات المتحدة تتردد طويلا قبل تصديق ما أعلنه الحلفاء من أغراضهم فى دخول الحرب ؛ إذ لم يكن معقولا حينذاك أن تشترك حكومة روسيا القيصرية فى نصرة المبادئ الديمقراطية واحترام حريات الشعوب وحكومتها إذ ذاك فى أسفل درك من الفساد والطغيان . وفعلا لم تشترك الولايات المتحدة فى الحرب إلا بعد أن اشتعلت نار الثورة البلشفية الكبرى فى روسيا ، وأعلن الثوار على الملأ أنهم إنما يريدون السلام ولا مطمع لهم فى أرض أو مال للغير ، وعلى ذلك سرعان ما عقدت مع ألمانيا معاهدة برست ليتوفسك فى مارس سنة ١٩١٨ أى قبل انهزام ألمانيا النهائى بشهور قليلة .

ومنذ ذلك اليوم انطوت روسيا على نفسها ، وأخذ الثوار يكافحون فى سبيل توطيد دعائم الثورة ودرء خطر القوات الرجعية التى كان الحلفاء يؤازرونها ويمدونها بالمال والرجال ، حتى ملئت روسيا على دول الغرب سخطا وغلاً وحفيظة ؛ ولم تجد أمامها إذ ذاك إلا دول الشرق الناشئة كتركيا وإيران وأفغانستان فأوثقت معها روابط الصداقة وعدم الاعتداء ، وأقامت بينها وبين دول الغرب أو أقاموا بينهم وبينها ستاراً كثيفاً جعلها بمعزل عن العالم الغربى .

وكانت الولايات المتحدة أشد هذه الشعوب مقتاً لحكومة الثوار فى روسيا ، وأكثرها رغبة فى تجنب الاتصال بها . فبينما عملت انجلترا وفرنسا على

إنشاء علاقات تجارية بينها وبين روسيا أسوة بما سبقت إليه ألمانيا فى سنة ١٩٢٢ بمقتضى معاهدة راپالو ، فإن الولايات المتحدة ظلت جامدة فى موقفها أزاء روسيا ، كارهة أن يكون بينها وبين البلاشفة أية صلة مهما كان بعدها عن السياسة . وقد استاء شعب الولايات المتحدة من الثوار فى روسيا حين تنكروا للدين المسيحى ، وأنكروا الديون التى كانت لأمريكا على الحكومة القيصرية ، وحين أقاموا نظام الثورة على أساس من الغدر والتقتيل والتشريد إلى درجة أفزعت الشعوب الغربية ، ولأنهم لم يقتصروا على تنفيذ مبادئ ثورتهم فى بلادهم بل عملوا سرًّا وعلانية على نشر هذه المبادئ ومحاولة تنفيذها فى البلاد الأجنبية الأخرى ، يريدون أن تعم الثورة الشيوعية العالم كله ويكون لموسكو الامر كله على الناس جميعا .

ولما أصبح الأمر فى روسيا بيد ستالين بعد موت لينين فى سنة ١٩٢٤ دخلت روسيا فى طور جديد من حياتها السياسية ؛ إذ لم يكن ستالين من قادة الفكر النظريين الذين درسوا فى جامعات أوربا واطلعوا على آراء الغرب وكتبهم ، بل كان رجلا حربيا عمليا يعتبر حقائق الواقع ، فلم يشأ أن يضحى بمصلحة روسيا فى سبيل تحقيق ماقصد إليه ماركس ولينين وتروتسكى من تعميم الثورة الشيوعية فى العالم بطريق العنف والقوة ، وصمم ستالين على تركيز جهود الثورة فى روسيا أولاً بإنهاضها صناعيًّا وثقافيًّا ، وتطهيرها تدريجاً من عناصر الشيوعية العالمية . ومن حسن طالع ستالين أن أوربا كانت تجنى فى هذه الفترة أحسن ثمار عصبة الأمم ؛ إذ دخلت ألمانيا العصبة فى سنة ١٩٢٦ وسادت بلاد العالم موجة من حب السلام جعلت روسيا تشترك من صميم قلبها فى اللجنة التحضيرية لمؤتمر تخفيف التسلح الذى انعقد فى جنيف ١٩٣٢ مع أنها لم تكن عضواً فى العصبة إذ ذاك ، وقد كان صوت مندوبها لتفينوف أقوى صوت ارتفع فى المؤتمر منادياً بوحدة السلام فى العالم ، وبتخفيف التسلح بل ونزعه تماما فى مدى سنوات قليلة .

ولما لم يفد مؤتمر نزع السلاح شيئا وباءت عصبة الأمم بالخيبة ، تنبهت روسيا إلى موقفها إزاء الدول ، وأدركت أنها إنما تقف وحدها فى عزلة حربية وسياسية عن دول العالم ، وأيقنت أن مسابقة التسلح بين الدول ستعود حتما إلى أشد مما كانت عليه فى الماضى ، وأن مصير الثورة فى روسيا قد أصبح معرضا للضياع إذا لم تنهض بسد حاجاتها الحربية والصناعية بنفسها . وعلى ذلك بدأ ستالين سنة

١٩٢٩ مشروع السنوات الخمس الشهير مرة بعد مرة ، حتى شهد العالم وهو مشدوه مبهوت إحدى معجزات القرن العشرين الاقتصادية ؛ إذ تحولت روسيا إلى بلاد صناعية تنتج كل ما تحتاج إليه حربيا واقتصاديا ، وذلك إلى جانب نهضة زراعية اجتماعية وحركة عمرانية ثقافية أصبحت مضرب المثل فى مداها وكفايتها ، وأصبح ستالين صاحب هذه النهضة الكبرى ومبدعها معبود القوم وملاذهم الأعلى فى السلم وفى الحرب .

وفى هذه الأثناء كان قد ولى رياسة الولايات المتحدة رئيس حصيف واسع الأفق شديد الإيمان بالمبادئ الديمقراطية والأهداف الإنسانية العامة ، فهاله أن تكون بين أمريكا وروسيا تلك الهوة السحيقة من الجفاء وعدم الثقة مما أضاع على الولايات المتحدة الاتصال بأعظم دول أوربا قوة وسكانا وأفسحهم مستقبلا ، فقرر أن الوقت قد حان لاتصال الشعبين تحقيقاً لمصلحتهما السياسية والاقتصادية . وكانت الحركة النازية قد اشتدت فى ألمانيا ، وأصبح هتلر يهدد روسيا من جهة ودول الغرب من جهة أخرى ، كما أصبحت اليابان بعد احتلالها منشوريا تهدد مصالح الولايات المتحدة كما تهدد مصالح روسيا فى الشرق الأقصى . وكانت كل من روسيا والولايات المتحدة فى عزلة سياسية خارجة عن مدار عصبة الأمم ؛ وعلى ذلك سرعان ما تقاربت مصالح البلدين ، فاستقبل الرئيس روزفلت سفير روسيا لتفينوف فى سنة ١٩٣٣ ، وأرسلت الولايات المتحدة سفيرها مستر ديفيس سنة ١٩٣٧ وإليه يرجع الفضل فى تنوير أذهان الشعب الأمريكى بشأن النهضة البلشفية . وكانت روسيا قد اشتركت فى عصبة الأمم سنة ١٩٣٤ وارتبطت بأواصر المودة مع الدول الديمقراطية عندما قامت أزمة الحبشة ورفع هتلر القناع عن مطامعه . واستمرت العلاقات ودية بين البلدين حتى أتم هتلر لعبته السياسية الكبرى سنة ١٩٣٩ إذ مازال بستالين حتى جعله يعقد مع ألمانيا معاهدة عدم الاعتداء ويهمل مساعى انجلترا وفرنسا فى هذا السبيل . فعاد الشعب الأمريكى يسخط على زعماء روسيا ويتهمهم بكل نقيصة . وزاد من سخطهم هجوم روسيا على دول البلطيق وغزوها دولة فنلندة الصغيرة ، وتأكد لأمريكا أن حصول هتلر على ما يحتاج إليه من زيت البترول من روسيا سيساعد ألمانيا على المضى فى عدوانها ضد الدول الديمقراطية ؛ وعلى ذلك توترت العلاقات بين البلدين ، وظلت كذلك حتى كشف هتلر عن نياته ضد روسيا ، حينئذ استفاق

الروس إلى منظر عجب حقًا ؛ فقد كانوا موقنين أن الدول الديمقراطية سيرضيها حتما أن ينقلب الوحش الألمانى على روسيا فيفترسها ويزيح عن العالم كابوس البلشفية ، وإذا بهذه الدول تمد يدها إلى روسيا لتتعاون معها على درء الخطر الألمانى الذى بدأه هتلر سنة ١٩٤١ ، وسارع تشرشل وروزفلت إلى إرسال مندوبيهما إلى روسيا للاتفاق معها على خطة العمل ولم تمض إلا شهور قليلة بعد هجوم هتلر على روسيا حتى سطت اليابان على ميناء بيرل ، ودخلت الولايات المتحدة الحرب بعد مضى ستة أشهر على الهجوم الروسى . وقد أفادت روسيا من قانون الإعارة والتأجير الذى أصدرته الولايات المتحدة أيما فائدة ، فكانت ترد إليها المؤن والطيارات والمدافع والدبابات سالكة أحيانًا طريق إيران وخليج العجم ، وأحيانًا عابرة المحيط المتجمد الشمالى . وسرعان ما ظهرت معجزة روسيا الحربية ؛ فبينما كان النقاد وثقات الحربيين يتوقعون هزيمة روسيا فى مدى لا يزيد على ستة أشهر ، إذا بروسيا تقف وقفتها الشهيرة عند أبواب موسكو فى ستالينجراد أمام أكبر وأضخم قوة حربية تحركت على سطح الأرض منذ الخليقة ، فتصدها صدًا باسلا عنيفاً . ثم ما لبث الدفاع أن تحول إلى هجوم كاسح انتهى إلى النصر بفضل الصلابة التى اكتسبها الجند من الرجل «الصلب» الذى يقودهم ، وبفضل المعونة التى تلقتها روسيا من الحلفاء وخاصة أمريكا ، وأخيراً بفضل الإنتاج الحربى المتزايد المتصل الذى كان ينبعث من المصانع الروسية المستورة فى بطون الكهوف والوهاد وراء جبال الأورال التى اعتصم بها الروس عند ما أُوغل الأعداء فى داخل بلادهم .

ولما لاحت بشائر النصر عقب ارتداد الألمان عن ستالينجراد فى الشمال وتراجعهم فى شمال إفريقية بعد موقعة العلمين ، بدأ الحلفاء يفكرون فى تبادل الآراء بشأن مشاكل السلم وتنسيق الخطط الحربية الختامية فى مؤتمرات دورية عقدوها أولاً فى موسكو فى أكتوبر سنة ١٩٤٣ ثم فى القاهرة حيث اتفقوا على صورة قهر اليابان وحرمانها فى النهاية من كل الأراضى التى ضمتها إليها منذ الحرب العالمية الأولى ، وفى مقدمتها منشوريا وجزر المحيط الهادى . ولما اجتمع مؤتمر الحلفاء فى طهران فى نوفمبر سنة ١٩٤٣ عقب مؤتمر القاهرة سنحت الفرصة لأول مرة لتقابل العاهلين العظيمين روزفلت وستالين . وفى هذا المؤتمر

أكد الحلفاء تصميمهم على العمل فى الحرب وفى السلم الذى يعقب النصر . وقد تأيد هذا التصميم فى مؤتمر القرم الذى انعقد فى فبراير سنة ١٩٤٥ بحضور العاهلين وتشرشل ووزراء الخارجية ، وفيه قرروا إنشاء هيئة الأمم المتحدة لحفظ السلام وتأمين العالم ضد الحرب .

وأخيراً انتهت الحرب وخرجت منها روسيا وهى عالمة تمام العلم أن النصر قد رفعها فوق دول أوربا جميعاً ، وأن من حقها أن تتقاضى ثمن النصر كما تقاضته منذ أكثر من قرن عقب انكسار نابليون بونابرت سنة ١٨١٤ ، وقد كانت لروسيا يومئذ الزعامة بين الحلفاء الذين قاوموا نابليون وهزموه . ومع أن الحلفاء كانوا قد أعلنوا فى أكثر من مناسبة أنهم لا يرومون من الحرب الأخيرة أن يكسبوا لأنفسهم فوائد إقليمية ، فإن روسيا لم تتردد فى ضم جمهوريات البلطيق السابقة إليها (عدا فنلنده) رافضة حتى أن تتفاوض بشأنها ، كما ضمت جزءاً من بولندة الشرقية ، وتمسكت ببساربيا وبكوڤينا من رومانيا وسوّغت عملها فى نظر الناس بأن كثرة السكان تنتمى إلى روسيا ، وأيدت ذلك باستفتاء شعبى قام به رجالها . وزيادة على ذلك أرادت روسيا أن تكون لها الزعامة فى شرق أوربا ، وهيأ لها احتلالها المنطقة الشرقية من ألمانيا أن تزعم أن من حقها أن يكون طريقها فى البلقان ودول الدانوب مامون الجانب موصول الأطراف بالاتحاد السوڤيتى . وكما عملت الولايات المتحدة قبل الحرب على توطيد مركزها بين جمهوريات أمريكا بإنشاء اتحاد الجامعة الأمريكية ، كذلك تريد روسيا اليوم أن تكون لها الزعامة بين شعوب البلقان السلافية ، وأن تجعل من هذه الأقاليم منطقة نفوذ خاصة بها . وكان من الحتم أن تجر هذه السياسة إلى الاحتكاك بتركيا واليونان ، وإلى معارضة الدول الديمقراطية الكبرى ولها فى مضايق الدردنيل وفى اليونان وجزر بحر إيجة مصالح استراتيجية واقتصادية لا يستهان بها .

أما بينها وبين الولايات المتحدة ذاتها فليست هناك مطامع إقليمية تدعو إلى النزاع ، فروسيا دولة برية ؛ وكل من الولايات المتحدة وبريطانيا دولة بحرية جوية لا ناقة لها فى أوربا ولا جمل ، ولكنها سياسة تأمين الحدود التى نادت بها روسيا وحملتها على أن تمد أخطبوطها غرباً وجنوباً وشرقاً ، حتى باتت تهدد الكتلة الاتلنطيقية من جهة والولايات المتحدة والصين من جهة أخرى .

ومن سوء حظ روسيا أنها آمنت بمبدأ التكتل فى الوقت الذى تهيأ فيه العالم

لقبول فكرة الاتحاد العالمى أو الاتحاد الأوربى على الأقل . فبينما أمريكا وبريطانيا تبذلان غاية الجهد فى إقامة هيئة الأمم المتحدة وتوطيد أركانها ، نرى روسيا تعمل جاهدة على تكتيل أوربا بل والعالم كله إلى كتلتين شرقية وغربية .

وعلى هذا الأساس تركزت الآراء والمناقشات فى اللجان والمؤتمرات الدولية مما جعل الأهداف التى ترمى إليها هيئة الأمم المتحدة تتضاءل وتتخاذل أمام الحدة الناشئة من هذا الانقسام أو التكتل ؛ حتى قالوا إن روسيا قد تورطت تورطا فى الموافقة على إنشاء هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن ؛ إذ لا يعقل أن تعمل روسيا البلشفية على إعادة بناء العالم وإقرار السلام بين الشعوب وهى التى ينادى رسلها وأبواقها بضرورة الثورة العالمية حتى يزول النظام الرأسمالى عن وجه البسيطة . ويظهر أن زوال ألمانيا من الوجود الدولى قد طمأن روسيا لأول مرة فى تاريخها الحديث من جهة حدودها الشرقية اذ لم يبق ظل من الشك فى أن قواتها البرية فى أوربا تفوق قوات الدول الديمقراطية جميعها . وعلى ذلك لم تعد لها فائدة حربية ترجى من وراء أمريكا ، كما أصبحت أمريكا بعد زوال اليابان من الوجود الدولى فى الشرق الأقصى تخشى تفوق روسيا فى منطقة المحيط الهادى الشمالية ، وقد كانت الولايات المتحدة قبل هذه الحرب فى حاجة قصوى إلى صداقة روسيا لتحدّ من خطر اليابان .

من هذا نستطيع أن ندرك طائفة من الأسباب التى جعلت الجفاء يحل بين روسيا وحلفائها القدامى محل الوئام الذى ساد بينهم فى أثناء الحرب . وكان هذا الجفاء أول بادرة من بوادر الإخفاق للسلم الجديدة وأخوف ما نخافه الناس أن يكون إخفاق السلام مقدمة الاستعداد للحرب الثالثة .

محمد رفعت